

الدلالة النحوية بين القدامى والمحدثين

د. زينب مديح جبارة النعيمي

جامعة واسط/ كلية التربية الاساسية

خلاصة البحث

يتناول هذا البحث قضية مهمة هي الدلالة النحوية بين القدامى والمحدثين، وقد بدأت بتعريف الدلالة النحوية وبيان معناها، وأوضحت علاقة النحو بالدلالة، وبيّنت أنها قديمة قدم النحو نفسه، وجلّيت مفهوم العلامة في النحو العربي، وعرّجت على ذكر آراء النحاة من القدامى والمحدثين في دلالات العلامة الاعرابية وعالجت صلة الاعراب بالمعنى، وبيّنت ان العلامة الاعرابية قرينة صوتية تسهم في بيان المعنى وتعين على فهمه وأوضحت أن المعنى الدلالي يجمع قرائن كثيرة لفظية ومعنوية، وقد عرضت بعض هذه القرائن بايجاز، ونبّهت على أثرها في اظهار المعنى الدلالي والكشف عنه، وكذلك تحدّثت عن أثر السياق ولاسيما السياق اللغوي وسياق الحال ودور النبر والتنغيم في تفسير الجملة تفسيراً صحيحاً، وبيّنت ان المعنى النحوي الدلالي تسهم في بيانه وابرار علاقاته ومعانيه شبكة من العلاقات والقرائن المختلفة اللفظية والمعنوية، وليس الاعراب الا واحدا منها، وتكلّمت عن بعض دلالات التقديم والتأخير عند النحويين وختمت البحث بأهم النتائج.

الدلالة النحوية في الاصطلاح

الدلالة النحوية: هي الدلالة التي تحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كل منها موقعا معينا في الجملة حسب قوانين اللغة، اذ ان كل كلمة في

التركيب لابد أن تكون لها وظيفة نحوية من خلال موقعها.⁽¹⁾ ومنتقل من معنى الدلالة النحوية الاصطلاحي عند الدكتور عبد الكريم مجاهد الى المقصود بها عند الدكتور أحمد سليمان ياقوت اذ يقول (الدلالة النحوية هي التي تستمد من نظام الجملة وترتيبها ترتيبا خاصا)⁽²⁾، ومما ورد في كلامي الاستاذين الفاضلين يمكن أن ندرك أهمية العلاقات النحوية بين الكلمات، ونظام ترتيب الكلمات في الجملة، وفقا لقوانين اللغة وشرائط التركيب وأثر ذلك في الوصول الى المعنى النحوي، وهذا حسن، ولكن المعنى العام للجملة لا يتأتى من المعنى النحوي وحده وإنما هو ثمرة ربط المعنى بعلم الدلالة، لان المعنى الدلالي يشمل المعنى النحوي وطريقة التركيب وعلى هذا فان الدلالة النحوية هي التي تحصل نتيجة التفاعل بين الوظائف النحوية والمفردات المختارة لشغلها في بناء الجملة الواحدة، وتتآزر القرائن اللفظية والمعنوية ودلالات السياق المختلفة، وطريقة التركيب اللغوي، ويكون للنحو النصيب الأكبر فيها لبلوغ المعنى الدلالي العام وفهمه وتحليله الى عناصره تحليلا دقيقا.

علاقة النحو بالدلالة

ان علاقة النحو بالدلالة قديمة قدم النحو نفسه، وقد ارتبط كل واحد منهما بالآخر بأقوى الاسباب. ومن ثم كان النحو كله دلالة سواء أكان علامات اعرابية أم أساليب كلامية أم حروفا وأدوات نحوية أم قرائن وسياقات.⁽³⁾ ولقد كان النحو العربي منذ نشأته الأولى مهتما بالمعنى، يعتد به، وبأثره في التقعيد، يمد الجملة بمعناها الأساسي الذي يكفل لها الصحة والسلامة، ويحدد عناصر معناها، ويكشف تركيبها، لان الجملة هي الغاية الأولى لكل نظام نحوي.⁽⁴⁾

مفهوم العلامة في النحو العربي

ان العلامة من المصطلحات الأصيلة في الدرس النحوي عند العرب القدماء، حتى انه ليتمكن القول تجوزا عن النحو العربي انه نحو العلامات . وقد أشار اليها سيبويه في الصفحات الأولى من كتابه، وعالج بعض الموضوعات النحوية اعتمادا عليها، وعني بها النحويون من بعده وأكثروا من استعمالها، والاشارة اليها.⁽⁵⁾

والعلامات في النحو العربي هي الملامح المميزة التي تلحق الصيغة أو الكلمة أو الجملة، وتؤدي الى اضافة بعض المعاني اللغوية والصوتية والتركيبية والدلالية وهذا التعريف يشمل العلامة الاعرابية وغيرها كالعلامة الصوتية التي تحتوي على معلومات كافية تتصل بالنطق، والعلامة التركيبية التي تتصل بأجزاء الكلام والفصيحة التي ننسب اليها الكلمة، والدلالية التي تقدم المعاني المختلفة للكلمات.(6)

دلالات العلامات الاعرابية على المعاني

تدل النصوص التي امتلأت بها كتب النحو العربي على ان العلامات الاعرابية أعلام على معان وفيما يأتي بعض النصوص التي تؤكد ذلك.

قال الجرجاني(اعلم أن الكلام مداره على ثلاثة معان :الفاعلية ، والمفعولية،والاضافة، فالرفع للفاعل، والنصب للمفعول، والجر للمضاف اليه، وما خرج من هذه الاقسام فمحمول عليها وليس بأصل، فالمحمول على الفاعل المبتدأ والخبر واسم كان واخواتها وخبر ان واخواتها والمحمول على المفعول خبر كان واسم ان والحال والتمييز.....واعراب الفعل غير حقيقي كله اذ لايتصور فيه فاعلية ولامفعولية ولاضافة(7)

وقال الزمخشري(القول في وجوه اعراب الاسم هي: الرفع والنصب والجر وكل واحد منها علم على معنى، فالرفع علم الفاعلية والفاعل واحد ليس الا، اما المبتدأ وخبره وخبر ان واخواتها واسم كان واخواتها واسم <ما> و<لا> المشبهتين بليس فملحقات بالفاعل على سبيل التشبيه والتقريب، وكذلك النصب علم المفعولية والمفعول خمسة أضرب: المفعول المطلق، والمفعول به، والمفعول فيه، والمفعول معه ، والمفعول له، والحال والتمييز، والمستثنى المنصوب والخبر في باب كان والاسم في باب ان والمنصوب بلا التي لنفي الجنس وخبر <ما> و<لا> المشبهتين بليس ملحقات بالمفعول، والجر علم الاضافة ، واما التوابع فهي في رفعها ونصبها وجرها داخله تحت أحكام المتبوعات، ينصبّ عمل العامل على القبيلين انصبابة واحدة.(8) ولا حاجة بنا للتعليل على هذين النصين فهما غاية في الوضوح.

رأي أبي علي محمد بن المستنير في العلامات الاعرابية

نسب الزجاجي الى أبي علي محمد بن المستنير (قطرب) القول بانكار دلالات العلامات الاعرابية على المعاني ، ولم يصرح الزجاجي بذكر المورد الذي استقى منه ، وأخذ عنه ، ويرى قطرب _ كما يذكر الزجاجي _ ان العرب لم تعرب كلامها للدلالة على المعاني ، والفرق بين بعضها وبعض فليس ثمة علاقة بين المعنى والاعراب (فلو كان الاعراب انما دخل الكلام للفرق بين المعاني لوجب أن يكون لكل معنى اعراب يدل عليه لايزول الا بزواله.....وانما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكوت للوقف فلو جعلوا وصله بالسكون ايضا لكان يلزمه الاسكان في الوقف والوصل ، وكانوا يبطنون عند الادراج. فلما وصلوا وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقبا للاسكان ليعتدل الكلام ، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ، ومتحركين وساكن ، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ولا في حشو بيت ولا بين أربعة أحرف متحركة لأنهم في اجتماع الساكنين يبطنون وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون وتذهب المهلة في كلامهم فجعلوا الحركة عقب الاسكان)⁽⁹⁾ ويعلل قطرب اختلاف الحركات ، وعدم لزوم حركة واحدة لأنها تجزيء وفاقا لمذهبه بأن النحويين لو لزموا حركة واحدة لضيقوا على أنفسهم ، ولحجروا واسعا ، فارادوا الاتساع في الحركات ، وألا يحظروا على المتكلم الكلام الا بحركة واحدة وردّ عليه بأنه (لو كان الامر كما زعم لجاز خفض الفاعل مرة ورفع اخرى ونصبه ، وجاز نصب المضاف اليه لأن القصد في هذا انما هو حركة تعاقب سكونا يعتدل به الكلام ، وأي حركة أتى بها المتكلم أجزأته فهو مخير في ذلك ، وفي هذا فساد للكلام وخروج عن أوضاع العرب وحكمة كلامهم، واحتجوا لما ذكره قطرب من اتفاق الاعراب واختلاف المعاني ، واختلاف الاعراب واتفاق المعاني في الاسماء التي تقدّم ذكرها بأن قالوا : انما كان اصل دخول الاعراب في الاسماء التي تذكر بعد الافعال ، لانه يذكر أحدهما فاعل والاخر مفعول به ، فمعناها مختلف فوجب الفرق بينهما ثم جعل سائر الكلام على ذلك)⁽¹⁰⁾ ويرى الدكتور محمد حماسة أن رأي

قطرب هذا لا يعدو أن يكون ملاحظة عابرة ، لم يكتمل لها البناء العلمي ، ولا التفسير الصحيح. (11) وان قطربا لم يكن وفيًا لهذه الملاحظة ، وان الرجل كان مهتما بالاغراق في التعليقات النحوية مما جعل أبا الفتح بن جني يعرض عن آرائه ، ويؤثر عليها كتاب أبي حاتم السجستاني لأنه قصره على القراءات ، وعزاه من الاسهاب في التعليقات التي انحط قطرب فيها ، وتناهى الى متباعد غاياتها. (12)

وقد ذكرنا رأي قطرب في هذه الصفحات كون الحديث منصبا على العلامة الاعرابية فلا بد من ذكر الآراء المختلفة لعلماء العربية والتعليق عليها. وهذا طرف من آراء القدماء في العلامة الاعرابية ودلالاتها.

آراء المحدثين في العلامة الاعراب

لم يتفق المحدثون كما لم يتفق القدامى في دلالة العلامة الاعرابية ، فقد غالى قوم في دلالتها على المعنى وجدها آخرون ، وسلك فريق آخر مذهباً وسطاً بين الفريقين. ويعدّ الاستاذ عباس محمود العقاد من الفريق الأول ، اذ يرى أن العلامات الاعرابية تدل على معانيها كيفما كان موقعها من الجملة المنطوقة. (13) والاستاذ علي النجدي ناصف الذي نعت العربية بأنها (لغة حساسة بل دقيقة الاحساس في مفرداتها وأساليبها جميعاً ، فما يكاد يصيب هذه أو تلك شيء من تغيير حتى يكون له صدى في معناه على وجه من الوجوه) (14) وكأن المعاني متجسدة في العلامات الاعرابية وحدها دون غيرها.

ومن الفريق الثاني الدكتور ابراهيم أنيس الذي يرى أن الاعراب قصة مختلفة مصطنعة نسجها النحويون وحكموا خيوطها اذ تفتحت قرائحهم عن بعض ظواهر الاعراب ، ففاسوا أصوله بغية الوصول الى أحكام مطردة منسجمة وكان لهم بهذا الفضل في نشأة ذلك النظام المحكم الذي حدثونا به في كتبهم وفرضوه على كل العصور من بعدهم. (15) وقد وافق ابراهيم أنيس رأي قطرب في العلامات الاعرابية. وما ذهب اليه د. ابراهيم أنيس يخالف واقع اللغة ويلغي قرينة مهمة يفرع

اليها النحويون للتفريق بين المعاني وهي العلامة الاعرابية ،ولو خلت هذه العلامة من الدلالة لما أدى اختلاف العلامات الى اختلاف المعاني. وممن أنكر الاعراب ودعا الى الغائه من العربية د. أنيس فريحة لأن الاعراب في زعمه لايتلاءم والحضارة فضلا عن أنه زخرف لاقيمة له في الفهم والافهام ولو كان ضروريا للفهم والتفاهم لأبقت عليه الحياة⁽¹⁶⁾ وهو رأي لاقيمة له.وممن اتخذ مذهبها وسطا الاستاذ ابراهيم مصطفى الذي دعا الى تخصيص بعض العلامات الاعرابية بالدلالة دون بعض ، فذهب الى أن الضمة علم الاسناد ، ودليل أن الكلمة المرفوعة يراد بها أن يسند اليها ، ويتحدّث عنها وان الكسرة علم الاضافة واشارة الى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء أكان هذا الارتباط بأداة أم بغير أداة، وان الفتحة ليست علامة اعراب ، ولاتدل على شيء ، وانما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يراد ان تنتهي بها الكلمة كلما أمكن فهي بمثابة السكون في لغة العامة ، فالاعراب هو الضمة والكسرة فحسب وليستا بقية من مقطع ، وأثر لعامل من اللفظ بل هما من عمل المتكلم نفسه ليدل بهما على معنى في تأليف الجملة ونظم الكلام⁽¹⁷⁾

وذهب الدكتور مهدي المخزومي الى ان الفعل كله مبني مثل أسماء الاشارة ، الأدوات ، وأن تغير آخر الفعل المضارع لم يكن بسبب من طروء معان اعرابية ولا بسبب من وجود عوامل ناصبة أو جازمة وانما كان ذلك من أجل تمييز زمن المضارع وتخصيصه⁽¹⁸⁾ فالرفع لدلالته على زمن الحال والاستقبال ، والنصب دلالة على زمن المستقبل والجزم للنفي المحض. ولم أتطرق الى آراء البصريين والكوفيين في اعراب الفعل لأن المسألة خلافية وحسبي أن أشير الى رأي الجرجاني اذ يقول (واعراب الفعل غير حقيقي كله اذ لايتصور فيه فاعلية ولامفعولية ولا اضافة)⁽¹⁹⁾ والزمخشري وعبارته تنبئ عن مراده اذ يقول (وليست هذه الوجوه بأعلام على معان كوجوه اعراب الاسم وذلك لأن الفعل في الاعراب غير أصيل)⁽²⁰⁾

الاعراب والمعنى النحوي

للكلمة اذا كانت منفردة خارج السياق معنى جزئي هو دلالتها المعجمية الخاصة بها ، فان انضمت الى غيرها وفاقا لقوانين اللغة وشرائط التركيب ، أفاض عليها التركيب معنى آخر ، وتحقق فيها الاعراب الفعلي، وقد نبّه نحويونا على هذه الحقيقة ، قال ابن يعيش (والاسم اذا كان وحده من غير ضميمة اليه لم يستحق الاعراب، لان الاعراب انما يؤتى به للفرق بين المعاني ، فاذا كان وحده كان كصوت تصوت به ، فان ركبته مع غيره تركيبا تحصل به الفائدة نحو قولك: زيد منطلق ، وقام بكر فحينئذ يستحق الاعراب)⁽²¹⁾ وانما يؤتى بالاعراب للفرق بين المعاني المختلفة والكلام المتكافيء ، قال ابن قتيبة ذاكرا خصائص العربية مجليا مكانة الاعراب فيها (ولها الاعراب الذي جعله الله وشيا لكلامها وحلية لألفاظها وفارقا في بعض الاحوال بين الكلامين المتكافئين ، والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول لايفرق بينهما اذا تساوت حالهما في امكان الفعل ان يكون لكل واحد منهما الا بالاعراب)⁽²²⁾ فالعلامات الاعرابية هي التي تبين عن المعاني المقصودة وترشد اليها ، وليس الاعراب الا ابانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم . ويرى ابن فارس ان الاعراب هو الذي يفرق بين المعاني(ألا ترى أنّ القائل اذا قال <ما أحسن زيد> لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم الا بالاعراب)⁽²³⁾ فالاعراب هو الذي يفرق بين المعاني الوظيفية كالفاعلية والمفعولية والاضافة والتعجب والاستفهام والاساليب الخبرية والانشائية . وابن فارس كما نرى يجعل مصطلح الاعراب أشمل من العلامات الاعرابية فهو يعني علم النحو كله ، والاعراب عنده هو المعنى وليس الامر كما يرى ابن فارس لان العلامة الاعرابية قرينة على فهم المعنى. ويبيّن ابن جني ان الاعراب هو (الابانة عن المعاني بالالفاظ ألا ترى أنك اذا سمعت < أكرم سعيد أباه ، وشكر سعيدا ابوه> علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شرحا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه فان قلت قد تقول: ضرب يحيى بشري فلاتجد هناك اعرابا فاصلا.. قيل اذا اتفق ما هذه سبيله مما يخفى في اللفظ حاله ألزم الكلام من تقديم الفاعل وتأخير المفعول ما يقوم مقام بيان الاعراب ، فان كانت هناك دلالة

أخرى من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير نحو < أكل يحيى كمثرى > لك أن تقدِّمَ وتؤخر كيف شئت وكذلك < ضربت هذا هذه > وكذلك ان وضع الغرض بالثنائية أو الجمع جاز لك التصرف نحو قولك < أكرم اليحييان البشريين > و < ضرب البشريين اليحيون > وكذلك لو أمأت الى رجل وفرس فقلت: < كَلَّم هذا هذا فلم يجبه > لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت لان في الحال بيانا لما تعني (24)

والحق أن هذا النص نفيس في الدلالة على ما نحن بصدده ، وهو يشير الى فهم ابن جني للاعراب وهو الابانة عن المعاني ، والوقوف على الفروق بينها ، واستكناه أسرارها والعلامة الاعرابية هي التي تنبئ عنها ، وتدل عليها وليست العلامة الاعرابية الا قرينة لفظية صوتية تكتنفها قرائن أخرى كالرتبة أو المطابقة العددية أو النوعية أو السياق للدلالة على المعنى ، فهذه القرائن والعلامة الاعرابية واحدة منها تكشف العلاقات بين أجزاء الجملة ، وتجلو المراد منها وتزيل اللبس في وظائفها .

العلامة الاعرابية قرينة لفظية من القرائن الدالة على المعنى الدلالي

حمَّ لَّ فريق من النحويين العلامة الاعرابية وحدها عبء معنى الجمل النحوية ، ولاريب أن العلامة الاعرابية تكشف عن المعنى النحوي ، وتفرِّق بين المعاني ، ولكن ثمة قرائن أخرى لفظية معنوية يعانق بعضها بعضا ، ويأخذ بعضها بحجر بعض تسهم في فهم المعنى النحوي ، وكشف العلاقات النحوية ، وتحديد عناصر الجمل وتحليلها تحليلا دقيقا .

ان الاعراب لا يمكن أن يراد به النحو كله بنظامه المعروف كما رأينا عند ابن فارس ، وانما ينبغي لنا فهم الاعراب والعلامات الاعرابية وفقا لما ذكرناه قبل قليل .

ولا ينبغي لنا أن نبخس علماءنا حقهم وسبقهم وفضلهم ، فقد أشاروا الى القرائن اللفظية والحالية ، وأفادوا منها في كثير من الاحكام قال ابن يعيش (اعلم أن المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما ، فالمبتدأ معتمد الفائدة والخبر محل

للفائدة ، فلا بد منهما الا أنه قد توجد قرينة لفظية أو حالية تغني عن النطق بأحدهما ، فيحذف لدلالاتها عليه ، لأن الالفاظ انما جيء بها للدلالة على المعنى فاذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز ألا تأتي به ، ويكون مرادا حكما أو تقديرا⁽²⁵⁾ وقد نبّه العلامة الرضي على ان الاعراب قرينة لفظية: (واذا انتقى الاعراب اللفظي في الفاعل والمفعول معا مع انتفاء القرينة الدالة على تمييزا حدهما عن الآخروجب تقديم الفاعل لانه اذا انتقت العلامة الموضوعية للتمييز بينهما اي الاعراب لمانع ، والقرائن اللفظية والمعنوية التي قد توجد في بعض المواضع دالة على تعيين أحدهما من الآخر كما يجيء فيلزم كل واحد مركزه ليعرفا بالمكان الأصلي ، والقرينة الاعرابية كالأعراب الظاهر في تابع أحدهما أو كليهما نحو ضرب موسى عيسى الظريف ، واتصال علاقة الفاعل بالفعل نحو ضربت موسى حبلى ، أو اتصال ضمير الثاني بالاول نحو ضرب فتاه موسى ونحوه ، والمعنوية نحو أكل الكمثرى موسى واستخلف المرتضى المصطفى(ص) ونحو ذلك⁽²⁶⁾ وهي اشارات دقيقة قيمة ولكنها لم تضع في اطار نظرية نحوية متكافئة.

حقا لقد تناول الجرجاني في نظرية النظم تعاون القرائن النحوية في تحديد المعنى النحوي ، ولكنه لم يكن يبتغ دراسة النحو ، وصياغته في نظرية محددة المعالم ، واضحة السمات تأوي الى الارتكاز على القرائن اللفظية والمعنوية ، وتعنى بدراسة المعنى النحوي والكشف عن العلاقات النحوية ، وابرار عناصرها ، وتحليلها تحليلا دقيقا ، وانما انصب اهتمامه على اظهار اعجاز القرآن في نظمه.

نظرية النظم عند الجرجاني

كان عبد القاهر الجرجاني أول من عني بالقرائن مجتمعة كالصيغة والاداة والتضام والرتبة والمطابقة وهي أنواع من قرائن التعليق (واعلم ان ليس النظم الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه واصوله وتعرف مناهاجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها)⁽²⁷⁾ ويرى الدكتور محمد حماسة⁽²⁸⁾ أن غرض الجرجاني في دلائل

الاعجاز لم يكن دراسة النحو بل كان يتوخى الفائدة التي تترتب على الاستعمال الصحيح لوجوه كل باب نحوي وفروقه، واطهار قيمة النحو ، وأثرها الجمالي ، وهذا صواب ولكن الجرجاني ربما أراد أن يلفت أنظار النحويين الى الاهتمام بدراسة المعنى النحوي ، والعناية بدراسة الجملة وهي الغاية الاولى لكل نظام لغوي ، وطريقة صياغتها ، وكشف العلاقات بينها وبين غيرها ، وما يحف بها من قرائن لفظية ومعنوية وهو يقوم برسالته التي مهّد لها في دلائل الاعجاز وهي اثبات اعجاز القرآن في نظمه . وقد ركّز الجرجاني في نظرية النظم على جملة امور⁽²⁹⁾

1-الأغراض التي يوضع لها الكلام 2- موقع الكلمات بعضها من بعض (التقديم والتأخير) 3- استعمال بعضها مع بعض (الاختيار الصحيح بين الحقول الدلالية للمفردات). وقد عني الرجل بالمعنى النحوي الاولي الذي يمد الجملة بالمعنى الاساسي في علاقة الوظائف النحوية بعضها ببعض ، ووضع العناصر النحوية في الموضع الذي تقرره لها البنية الاساسية (الصور التجريدية للقواعد في أذهان المتكلمين) وبناء الجملة ، وأكثر من النصوص التي تشرح أصول نظريته مظهرا عناية كبيرة في ابراز أثر العلاقات النحوية في صياغة المفردات في الجملة (3). لان الكاتب أو الشاعر لايتصور أن يخطر معاني الكلم بباله عارية من معاني النحو ألبته .

وتبدو معاني النحو عند الجرجاني في الاختيار الموفق الدقيق بين المفردات والعلاقات النحوية (فلست بواجد شيئا يرجع صوابه ان كان صوابا وخطؤه ان كان خطأ الى النظم ، ويدخل تحت هذا الاسم الا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب موضعه فلا ترى كلاما قد وصف بصحة النظم أو فساده أو وصف بمزية أو فضل فيه الا وانت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد ،وتلك المزية ،وذلك الفضل الى معاني النحو وأحكامه ،ووجدته يدخل في أصل من أصوله ، وباب من أبوابه

(31)

لقد أكد الجرجاني أهمية العلامات الاعرابية متأزرة مع غيرها من القرائن الاخرى في مواطن كثيرة منها ما أورده في تحليله الايات القرآنية (واشتعل الرأس شيبا) (وفجرنا الارض عيونا)⁽³²⁾ ولكنه عدّها علامات لفظية ، والحق ان الترخص في العلامة الاعرابية واقع في الفصحى اذا فهم المعنى وعدم اللبس ، وأعانت الظواهر السياقية الاخرى على الابانة عن المعاني المقصودة⁽³³⁾ مما يثبت انها قرينة صوتية تعمل مع غيرها عملا دقيقا متكاملا مرتبطا بالمعاني أوثق ارتباط وأعمقه وأدقه ، وقد يسبب فقدانها أحيانا تعددا في الاوجه الاعرابية تعين عليه القرائن الاخرى.

نظرية القرائن النحوية

اذا كان الجرجاني قد تناول تعاون القرائن النحوية- والعلامة الاعرابية واحدة منها - في تحديد المعنى النحوي فان الدكتور تمام حسان كما يرى الدكتور محمد حماسة هو صاحب نظرية القرائن النحوية ، وقد مهّد لها بكثير من البحوث المؤذنة بتكاملها ونضجها ، وبالعكوف على الدرس والبحث سنين عددا ، وأعانه عليها فكر ثاقب ، ودرية فائقة جعلته يربط هذه النظرية بترائنا النحوي⁽³⁴⁾ . وقد أعطى الرجل العلامة الاعرابية ما تستحق حين عدّها مبنى من مجموعة مبان هي : الصورة الاعرابية ، والرتبة والصيغة والجدول والالصاق والتضام والرسم الاملائي مع مجموعة من معان هي : التسمية والحدث والزمن والتعليق والمعنى الجملي ، ويتم على أساسها جميعا التفريق بين أقسام الكلم في العربية⁽³⁵⁾.

وقد بنى الدكتور تمام حسان النظام النحوي للغة العربية على الاسس الاتية : (1) جملة من المعاني النحوية تسمى معاني الجمل أو الاساليب . (2) مجموعة من المعاني النحوية الخاصة كالفاعلية والمفعولية والاضافة. (3) طائفة من العلامات التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها كعلاقة الاسناد والتخصيص والنسبة والتبعية وهي علاقات معنوية . (4) ما يقدمه علما الصوتيات والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية وصرفية. (5) القيم الخلفية أو المقابلات بين أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفراده.

ويرى الدكتور تمام حسان أن المعاني النحوية وظائف للمباني التي يتكون منها المبنى الأكبر للسياق وأن الكشف عن العلاقات السياقية هو الغاية من الاعراب بمعنى التعليق ، والاحساس بصعوبة الاعراب أحيانا يعني أن من الصعب الكشف عن قرينة التعليق وهي أمّ القرائن النحوية جميعا كما يرى أن الاعراب في الحقيقة والواقع هو فرع المعنى الوظيفي وليس فرع المعنى الدلالي⁽³⁶⁾.

وقد شرح حسان هذه القرائن وبيّن رأيه في العلامة الاعرابية بشكل جلي فقال : (ولا أكاد أملّ ترديد القول: ان العلامة الاعرابية بمفردها لاتعين على تحديد المعنى ، فلا قيمة لها بدون ما اسلفت القول فيه تحت اسم (تضافر القرائن) وهذا القول صادق على كل قرينة أخرى بمفردها سواء أكانت معنوية أم لفظية)⁽³⁷⁾ فالعلامة الاعرابية عنده قرينة من قرائن متضافرة لبيان المعنى النحوي ، وقد يغني بعض القرائن عن بعض عند أمن اللبس ، وذلك لان اللغة اذا كانت ملبسة لم تصلح وسيلة للفهام والفهم ، واللغة العربية تترخص في القرينة اللفظية اذا أمن اللبس⁽³⁸⁾ وهذا الرأي وسط بين الرأي القائل العلامة الاعرابية وحدها تدل على المعاني ، والرأي الذي يزعم أنها زيادة لوصل الكلام دون دلالة نحوية ، فالعلامة الاعرابية هي احدى القرائن التي تتضافر من أجل جلاء اللبس عن الجملة ، فاذا أمن اللبس جاز الترخّص في القرينة الاعرابية ، والاعتماد على القرائن الاخرى في فهم المعنى النحوي⁽³⁹⁾. وهذه القرائن منها ماهو معنوي كالاسناد ، والتخصيص والنسبة ، والتبعية والمخالفة ، ومنها ماهو لفظي : العلامة الاعرابية ، والرتبة ، والصيغة ، والمطابقة ، والربط ، والتضام ، والأداة والتنغيم (4). ولاريب أن دراسة النحو العربي في ضوء هذه العلاقات تغنيه ، وتقنيه ، وتزيده خصبا ونفعا وثراء .

ومن المفيد أن نذكر شيئا موجزا يجلي أهم هذه القرائن وأعظمها شأنًا. قرينة الاسناد : وهي قرينة معنوية تربط بين الفعل والفاعل أو نائب الفاعل ، والمبتدأ والخبر ، وتوازرها قرائن أخرى أهمها العلامة الاعرابية ، والصيغة والرتبة والمطابقة وتستطيع بها تحديد المسند والمسند اليه قال تعالى (انما يخشى الله من

عباده العلماء⁽⁴¹⁾ ف (يخشى) هو المسند ، والعلماء (مسند اليه) وهو فاعل مؤخر ونقول :زارت أباها زينب. ف (زينب) مسند اليه (فاعل) يدل على ذلك : علاقة الاسناد بالعلامة الاعرابية ، وعلاقته بالصيغة في كون المسند اليه ينتمي الى الصيغة الاسمية ، وعلاقته بالرتبة بوصفه متأخرا ، وعلاقته بالمطابقة مع زارت .

قرينة التخصيص : وهي قرينة معنوية تتفرع منها قرائن معنوية أخصّ منها هي التعدية والغائية والمعية والظرفية والتوكيد(المفعول المطلق) ، والملابسة (الحال) ، والتفسير (التمييز) ، والاخراج والمخالفة⁽⁴²⁾، والعلامة الاعرابية التي تدل على التخصيص هي النصب ، مثال ذلك قوله تعالى (ياالتي نردّ ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين)⁽⁴³⁾ فقد قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر والكسائي وأبي جعفر المدني وخلف والحسن البصري ، وابن محيصن برفع الفعلين ، والكلام وفاقا لهذه القراءة خبر ولايكون الفعل واقعا في جواب الطلب وهو التمني ، وذلك لأنهم تمنّوا الرد ، ولم يتمنوا عدم التكذيب ، وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم في رواية حفص ويعقوب والاعمش في رواية المطوّعي⁽⁴⁴⁾ بالنصب في الفعلين ، لوقوع الفعل في جواب الطلب وهو التمني والواو للمعية⁽⁴⁵⁾ ، والمعية قرينة معنوية متفرعة عن التخصيص وما بعدها منصوب.

قرينة التبعية : وهي قرينة معنوية وتشتمل على قرائن فرعية أربع هنّ: النعت والعطف والتوكيد والابدال ، وتؤازرهن قرائن أخرى لفظية أشهرها المطابقة،ولابد في المطابقة بين التابع والمتبوع من العلامة الاعرابية⁽⁴⁶⁾

قرينة النسبة :قرينة معنوية ، وتشمل قرينة الاضافة بالحرف ، وقرينة الاضافة بالاسم ، وهناك قرائن تعين على فهم معنى الاضافة وذلك بأن يكون المضاف والمضاف اليه اسمين (قرينة الاضافة) ، وأن يكون المضاف اليه مجرور (قرينة العلامة الاعرابية) وأن يكون متأخرا عن الحرف أو الاسم المضاف (قرينة الرتبة) ، واذا أفادت الاضافة تعريفا أو تخصيصا فهي الاضافة المعنوية ، وان عريت عنهما فهي لفظية⁽⁴⁷⁾

قرينة العلامة الاعرابية : قرينة من القرائن اللفظية تفصح عن المرفوع فتباينه عن المنصوب ، وتمحض الاسم لمعنى نحوي بذاته (48) ، والفعل لمعنى زمني بذاته ، وهي قرينة صوتية ، لأنها أصوات مدّ قصيرة لأنها أبعاض حروف.

قرينة الرتبة : قرينة لفظية ، وقد حظيت بحفاوة النحويين ، وعنايتهم ، ونبّهوا على أثرها في الجملة ، قال ابن جني (ولايجوز تقديم الصلة ولاشيء منها على الموصول ، ولا الصفة على الموصوف ولا البديل على المبدل منه ،... ولايجوز تقديم المضاف اليه على المضاف ولاشيء مما اتصل به) (49) ولدينا نوعان من حرية الرتبة الاول منهما يتقدّم فيه المتأخر محافظا على وظيفته كتقدم الخبر على المبتدأ. وثانيهما ماينقدم فيه المتأخر ، ويصحب ذلك انتقاله الى وظيفة أخرى كتقدم الفاعل على فعله فهو مبتدأ عند البصريين وفاعل عند الكوفيين ، ويجب نصب المستثنى اذا تقدّم على المستثنى منه(50).

المطابقة : قرينة صرفية ، وتبرز في التوابع ، والتذكير والتأنيث ، والافراد والتنثية والجمع

التضام والأداة : وذلك ان الكلمة في السياق تتطلب كلمة أخرى فلا تأتي الامعها ، ويضمّ التّضام : الحروف مع الاسماء (حروف الجر مثلا مع الاسم المجرور ، والا مع المستثنى) والأدوات مع الافعال (الادوات الجازمة والناصبية مع المضارع) والصلة مع الموصول ،.....

أثر السياق في الدلالة على المعنى النحوي

للسياق أثر كبير في تحديد المعنى وتوجيهه ، (وهو الذي يفرض للكلمة قيمة بعينها على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلّ عليها وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية) (51) وقد حدد أصحاب نظرية السياق أربعة أنواع من السياق : السياق اللغوي ، وسياق الموقف ، والسياق العاطفي ، والسياق الثقافي (52) ويبدو أثر النوعين الأولين فيما نحن بصددّه واضحا جليا .

*السياق اللغوي :

عرّف أولمان السياق اللغوي بأنه (النظم اللفظي للكلمة ، وموقعها من ذلك النظم)⁽⁵³⁾ ويشمل الكلمات والجمل السابقة واللاحقة للكلمة ، والنص الذي ترد فيه. وللسياق أثر بارز في الكشف عن معاني الكلمات المحذوفة ، لأن الحذف يرجع الى فهم المعاني وادراكها ، اذ يستعاض عن المحذوف بما هو مفهوم في الذهن، وقد يحذف الفعل والمبتدأ والخبر والجملة لأن السياق ينبئ عن المحذوف ، ويرشد اليه ، وقد أفرد الدكتور عبد الفتاح أحمد الحموز في كتابه (التأويل النحوي في القرآن الكريم) للحديث عن ظاهرة الحذف يقع في ثلاثة فصول :تحدث في الأول منها عن حذف الاسم وهو يدور في فلك المرفوعات والمنصوبات والمجرورات ، وعقد الفصل الثاني للكلام على حذف الفعل والجملة ، وخصص الثالث لحذف الحرف ⁽⁵⁴⁾ وعرض آراء النحويين في المسائل التي عرضها ، والذي يعنينا ان الحذف انما يقع اذا أنبأ عنه السياق ، ودلّ عليه ، ومن أمثلة حذف الاسم حذف المبتدأ في قوله تعالى (وقولوا حطّوا)⁽⁵⁵⁾ على معنى أمرنا حطّة أو مسألتنا حطّة ، وحذف المخصوص بالمدح وذلك في قوله تعالى (والأرض فرشناها فنعم الماهدون)⁽⁵⁶⁾ وحذف المخصوص بالذم في قوله تعالى (فحسبه جهنّم ولبئس المهاد)⁽⁵⁷⁾ ، وحذف المخصوص بالمدح أو الذم شائع في القرآن الكريم لدلالة السياق عليه ، ومن أمثلة حذف الخبر قوله تعالى (فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين)⁽⁵⁸⁾ وقد حذف الخبر بعد (لولا) الامتناعية ، والنحاة يقيدون ذلك بالكون المطلق ، والجمهور على وجوب حذفه ان دلّ علي دليل ⁽⁵⁹⁾ ويرى الكسائي أن ما بعد (لولا) مرفوع بفعل مقدر، فالحذف للفعل ، وفي المسألة تفصيل ، ويبدو أن الحذف لقيام القرينة ، وشخوص الدليل ، ويلاحظ كثرة ورود (لولا) في التنزيل ، ويرى ابن جني ⁽⁶⁰⁾ أن ما حذف خبره لقيام الدلائل على حذفه أكثر من أن يحصى. واما حذف المفعول لقيام الأدلة السياقية عليه فكثير ، ولايقوى على تتبعه الا من قوي طبعه ، وعدّ حذفه أقوى دليل على قوة عربية الناطق ⁽⁶¹⁾ ومن أمثلة ذلك قوله تعالى (ما ودّعك ربك وما قلى)⁽⁶²⁾ ويرى ابن هشام ⁽⁶³⁾ أن حذفه للفاصلة ، وانما حذف

المفعول لأنه تقدّم عليه مثله في اللفظ (ماودعك) أي وما قلاك⁽⁶⁴⁾ وما ذكرناه انما هو للتمثيل ولا امتراء في صحة الحذف اذا قام عليه الدليل.

ولسياق الحال (الموقف) أثر في فهم المعنى الدلالي أيضا، ويراد به العناصر غير اللغوية التي تساعد على فهم المعنى ومن هذه العناصر شخصية المتكلم والسامع، وثقافتها، وشخصيات من يشهدون الكلام، وأثر النص الكلامي في المستمعين ومدى استجابتهم أو رفضهم له فضلا عن العوامل الطبيعية ، والوضع السياسي، والظواهر الاجتماعية التي لها علاقة باللغة، والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي⁽⁶⁵⁾ ولقد تنبه علماءنا المتقدمون الى هذا اللون من السياق وربطوا بين النصوص وما يكتنفها من أحوال وملابسات ساعة التكلم ، وأقدم اشارة مدونة الى هذا الضرب من السياق وردت في كتاب سيبويه ، ومثّل لها بأنك لو رأيت رجلا متوجها وجهة الحاجّ ، وفي هيئة الحاجّ فقلت :مكة وربّ الكعبة فكأنك قلت : يريد مكّة والله ، ومثّل ذلك لو (رأيت رجلا يسدد سهمها قبل القرطاس ، فقلت : القرطاس والله ، اي يصيب القرطاس، واذا سمعت وقع السهم في القرطاس : قلت : القرطاس والله ، أي أصاب القرطاس ، ولو رأيت ناسا ينظرون الهلال ، وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت: الهلال وربّ الكعبة أي أبصروا الهلال)⁽⁶⁶⁾

ولابن جني حديث شائق بارع عن دلالة سياق الحال فهو يركز على أهمية المشاهدة ، ومعرفة سياق الكلام والمناسبة التي قيل فيها ، فان كلّ ذلك يجعل الطبقة الدنيا من الناس تفهم من شعر الفرزدق مالا يفهمه ابو عمرو بن العلاء اذا لم يكن حاضرا والفرزدق ينشده ، وفي ذلك يقول ابن جني (....وبعد فالحمالون والحمما ميون والساسة >ساسة الدواب القائمين على خدمتها< ، والوقادون ومن يلببهم ، ويعتد منهم يستوضحون من مشاهدة الاحوال ما لا يحصله ابو عمرو من شعر الفرزدق أخبر به عنه ، ولم يحضره ينشده)⁽⁶⁷⁾ وذلك لان لكل طبقة اجتماعية اسلوبا في التعبير، ولغة في الخطاب تغاير لغة غيرها من الطبقات الاجتماعية الاخرى ، وهو ينبّه على اعتبار مشاهدة الوجوه ، وجعلها دليلا على ما في النفوس ، وعلى ذلك قالوا

: ربّ اشارة أبلغ من عبارة وقال لي بعض مشايخنا رحمه الله : أنا لا أحسن أن أكلّم انسانا في الظلمة (68)

ولابدّ من الاشارة الى أن تنعيم الكلام المنطوق وهو عنصر صوتي له أثر دلالي كبير يهدي الى تفسير الجملة تفسيراً صحيحاً ، والتنعيم في الحقيقة قرينة صوتية كاشفة تبين عن اختيار المتكلم لنوع معين من أنواع التفسير النحوي الدلالي ، وإذا كان التنعيم لا ينشئ علاقات نحوية غير موجودة فإنه يختار بعض العلاقات النحوية التي تقبع تحت السطح المنطوق ، وتظهر تأثيرها في التفسير ، ويساعد التنعيم أيضاً على التوزيع التحليلي للنص الواحد فيجعله جملة أو أكثر من جملة (69) وقد يتوزع التنعيم على الاستفهام والتقرير فيجعل الجملة تارة انشائية ، وطوراً خبرية (7)

وليس النبر بأقل أثراً من التنعيم في الكشف عن المعنى الدلالي ، وذلك أن بعض أنواع النبر وهو عنصر صوتي يقع على بعض مقاطع الكلمة الواحدة يؤدي دور بعض الوظائف النحوية (71) وقد أشار الى ذلك ابن جني إذ قد تحذف الصفة وهي مرادة اعتماداً على النبر (وقد حذفت الصفة ، ودلّت الحال عليها ، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سير عليه ليل ، وهم يريدون ، ليل طويل ، وكأن هذا انما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها ، وذلك أنك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك ، وانت تحسّ ذلك من نفسك اذا تأملتّه ، وذلك أن تكون في مدح انسان والثناء عليه ، فتقول : كان والله رجلاً ! فتزيد في قوة اللفظ ب (الله) هذه الكلمة ، وتتمكن في تمطيط اللام ، وإطالة الصّوت بها وعليها ، اي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك. وكذلك تقول سألناه ، فوجدناه انساناً ، وتمكّن الصوت بانساناً وتفخمه ، وتستغني بذلك عن وصفه بقولك : انساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك)(72) والنص نفيس في بيان أثر النبر في بيان المعنى الدلالي ، وإذا كان

ابن جني لم يحدد مصطلحه فقد حالفه التوفيق في ابراز وظيفته.والذي نريد تقريره هو ان التنعيم والنبر قرينتان مهمتان تعينان على تحديد دلالة الجملة . وهكذا نرى ان المعنى النحوي الدلالي تسهم في بيانه ، وتحليله ، واطهار علاقاته ، ومعانيه العميقة شبكة من العلاقات والقرائن المختلفة اللفظية والمعنوية وليس الاعراب الا واحدا منها .

من دلالات التقديم والتأخير عند النحويين

انّ تقديم بعض الكلم على بعض ، ورعاية ما يكون من الهيئات آنذاك انما يكون لعلل بلاغية وأمور معنوية يعنيها المتكلم ، وليس ضربا من العبث ، والعرب يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى . وقد حظي هذا الأمر بعناية أئمتنا ، واهتمامهم ، وأوّل اشارة مدونة نقلها سيبويه عن الخليل (وزعم الخليل أنه يستقبح تقديم قائم اذا عومل على أنه مبتدأ ، وزيد خبر ، ولكنه يحسن اذا عدّ خبرا مبنيًا على المبتدأ المؤخر زيد)⁽⁷³⁾ وقد خصّ ابن جني التقديم والتأخير بفصل في كتابه الخصائص⁽⁷⁴⁾ وذكر أنواعه وفصل القول فيه .

وعقد الجرجاني له فصلا في دلائل الاعجاز ، ونوّه به ، ونعته بأنه (باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية)⁽⁷⁵⁾ وكان الجرجاني حفيا به ، فقد درسه من جوانبه كافة ، وأكثر من النماذج التطبيقية متخذا من الجملتين الاسمية و الفعلية في الاستفهام والنفي والاثبات..... ميدانا لدراسة هذه الظاهرة المهمة ، وبيان أغراض التقديم والتأخير في أنواع التركيب المختلفة . وسأعرض لبيان بعض دلالات التقديم والتأخير وذكر الفروق الدقيقة بينها مما يؤكد حرص أئمتنا على المعنى ، وعنايتهم به ، ومن ذلك تقديم الخبر المفرد على المبتدأ ، وانما يكون ذلك لأغراض أشهرها :

• التخصيص : والمراد تخصيص المسند بالمسند اليه نحو قولك (قائم زيد) وذلك لمن يردد زيدا بين القيام والقعود من غير أن يحضه بأحدهما ، فأثبت له القيام دون غيره من سائر أمثاله ، ومن هذا القبيل قوله تعالى (وظنّوا أنهم ما نعتمهم

حصونهم من الله⁽⁷⁶⁾ ويلاحظ تقديم الخبر < مانعتهم > على المبتدأ < حصونهم > لغرض التخصيص (فانه انما قال ذلك ، ولم يقل :وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم لأن في تقديم الخبر الذي هو <مانعتهم> على المبتدأ الذي هو < حصونهم > دليلا على فرط اعتقادهم في حصانتها ، وزيادة وثوقهم بمنعها ايّهم . وفي تصويب ضميرهم اسما لأن ، و اسناد الجملة اليه دليل على تقريرهم في أنفسهم أنهم في عزة وامتناع لايبالي معها بقصد قاصد ، ولاتعرض متعرض . وليس شيء من ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم مانعتهم من الله⁽⁷⁷⁾

ومن هذه الأغراض أيضا الافتخار كقول القائل <تميمي أنا > وذلك للفخر بنفسه وقبيلته ، والنفاؤل كقولهم <ناج سعيد> والتشاؤم نحو <هالك زيد > ⁽⁷⁸⁾ فاذا قدم الخبر في سياق الاستفهام نحو <أمسافر زيد؟ > كان السؤال عن سفر زيد لا عن زيد نفسه ، لأن الشك واقع في الخبر ⁽⁷⁹⁾

وقد يتقدم شبه الجملة ، وهو خبر نحو قوله تعالى (له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى)⁽⁸⁰⁾ أو غير خبر نحو قوله تعالى (ألا الى الله تصير الأمور)⁽⁸¹⁾ للدلالة على الاختصاص ونحو قوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)⁽⁸²⁾ على معنى أن الله وحده مختص بملك ما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى دون غيره ، وإن الأمور تصير اليه وحده دون سواه ، وإن التوكل عليه وتفويض الأمور اليه دون غيره لأنه ربّ كل شيء ⁽⁸³⁾

ويقدم المفعول به للاهتمام به ، قال ابن جني (فاذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا : ضرب عمرا زيد ، فان ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصب له فقالوا : عمرا ضرب زيد ، فان تظاهرت العناية به عقده على انه رب الجملة ، وتجاوزوا به حدّ كونه فضلة ، فقالوا : عمرو ضربه زيد ، فجاءوا به مجيئا ينافي كونه فضلة)⁽⁸⁴⁾ ويقدم المفعول للاختصاص نحو قوله تعالى (ايّاك نعبد وايّاك نستعين) أي نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك ، ونخصك بالاستعانة فلا نستعين بغيرك ⁽⁸⁵⁾

ويقدّم المبتدأ على الفعل لأغراض أشهرها :

- الحصر أو التخصيص نحو : خالد علّمني وذلك اذا كان المخاطب يخال أن سعيدا هو الذي علّمك ، وقد نبّه الجرجاني على هذا فقال : (فاذا عمدت الى الذي أردت أن تحدّث عنه بفعل ثم قدّمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه ، فقلت : زيد قد فعل ، وأنا فعلت ، وأنت فعلت ، اقتضى ذلك أن يكون القصد الى الفاعل الا أن المعنى في هذا القصد ينقسم الى قسمين : أحدهما جلي لا يشكل وهو أن يكون الفعل فعلا قد أردت أن تتصّ فيه على واحد ، فتجعله له ، وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر أو دون كل أحد)⁽⁸⁶⁾ ومن هذه الأغراض اظهار تعظيمه نحو قوله تعالى (الله يستهزيء بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون)⁽⁸⁷⁾ أو اظهار تحقيره والازراء به نحو : الأحمق جاء ، أو لفت الانتباه الى غرابته نحو : الأخرس نطق ، والأصم سمع وما شاكل ذلك.
- ولسنا في مجال الحصر والا ستقصاء وانما أردنا ايراد النماذج لبعض الاحكام المتعلقة بدلالات التقديم والتأخير للتنبية على أن العرب تفعل ذلك توخيا للمعنى المراد ، والتحقيق في هذا ان التقديم انما يكون للعناية والاهتمام بالمتقدم سواء لغرض الحصر أم غيره ، وقد أشار الامام الجرجاني الى ذلك فقال (واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الاصل غير العناية والاهتمام قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول : كأنهم يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم ، وهم بشأنه أعنى وان كانا جميعا يهّمّانهم ويعنيانهم)⁽⁸⁸⁾

الخاتمة

أودّ بعد هذه الجولة في رحاب الدلالة النحوية أن أخص أهم النتائج التي خلصت إليها وهي :

- صلة النحو بالدلالة قديمة قدم النحو نفسه ، ولم ينفصل النحو عن الدلالة ألّبتة في يوم من الايام.
- ليس الاعراب هو المعنى وانما هو جزء منه.
- العلامة الاعرابية قرينة صوتية ودليلة من دلائل المعنى وتجريدها من دلالاتها ضرب من التعسف والتحكم
- تتطافر في بيان المعنى الدلالي قرائن مختلفة لفظية ومعنوية تكفل البحث ببيانها
- التقديم والتأخير عند النحويين يكون لأمر معنوية وغايات بلاغية ، يروم المتكلم التعبير عنها

هوامش البحث

- (1) الدلالة اللغوية عند العرب د. عبد الكريم مجاهد/194
- (2) الدرس الدلالي في خصائص ابن جني د. أحمد سليمان ياقوت/ 28 وينظر: دلالة الالفاظ د. ابراهيم أنيس /48
- (3) الدلالة ونظرية النحو العربي. محمد عامر معين /7
- (4) النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي د. محمد حماسة عبد اللطيف /9-1.
- (5) العلامة في النحو العربي د. محمود سليمان ياقوت /9
- (6) المصدر نفسه /16
- (7) الجمل . عبد القاهر الجرجاني /36_37
- (8) المفصل في علم العربية . الزمخشري /1/18
- (9) الايضاح في علل النحو . الزجاجي /7_71
- (10) المصدر نفسه/71
- (11) العلامة الاعرابية في الجملة بين القديم والحديث. د. محمد حماسة عبد اللطيف /265
- (12) ينظر المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها . ابن جني 1 /36
- (13) اللغة الشاعرة . عباس محمود العقاد /21
- (14) من قضايا اللغة والنحو . علي النجدي ناصف/9
- (15) من أسرار اللغة د. ابراهيم أنيس /2.4
- (16) نحو عربية ميسرة د. أنيس فريحة /123_124
- (17) احياء النحو . ابراهيم مصطفى /5.
- (18) في النحو العربي نقد وتوجيه د. مهدي المخزومي /134
- (19) الجمل للجرجاني /37
- (20) المفصل للزمخشري /224_225

- (21) شرح المفصل لابن يعيش /49/1
- (22) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة /11/
- (23) الصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس /42/
- (24) الخصائص لابن جنى /36/1
- (25) شرح المفصل /94/1
- (26) شرح الكافية للرضى 73_72/1
- (27) دلالات الاعجاز 118_117
- (28) العلامة الاعرابية /113/
- (29) دلالات الاعجاز /69/
- (30) الدلالة والنحو /1.1/
- (31) دلالات الاعجاز /65/
- (32) المصدر نفسه/133_134
- (33) ينظر العلامة الاعرابية 323 وما بعدها
- (34) المصدر نفسه /284/
- (35) اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان /87/
- (36) المصدر نفسه /184/
- (37) (38) المصدر نفسه /323_2.7/
- (39) العلامة الاعرابية /292/
- (40) اللغة العربية معناها ومبناها /191_24.
- (41) سورة فاطر الاية 28
- (42) اللغة العربية معناها ومبناها /194/
- (43) سورة الانعام الاية 27
- (44) ينظر: السبعة فى القراءات /3.7/ /التيسير /1.2/ /المستنير /ق166/ الايضاح للخطيب القزوينى ق159 / الارشاد /3.7/ /النشر /257/2 / اتحاف فضلاء البشر 8/2
- (45) الحجة فى القراءات السبع /112/ وحجة القراءات /245/
- (46) اللغة العربية معناها ومبناها /3.4/
- (47) شرح ابن عقيل 46_44/2
- (48) الدلالة ونظرية النحو العربي /91/

- (49) الخصائص 387/2
- (50) شرح شنور الذهب لابن هشام /263
- (51) اللغة لفندريس /231
- (52) علم الدلالة د. أحمد مختار عمر /69
- (53) دور الكلمة في اللغة أولمان /54_55
- (54) التأويل النحوي في القرآن الكريم د. عبد الفتاح أحمد الحموز /137/1 وما بعدها
- (55) سورة البقرة الآية 58
- (56) سورة الذاريات الآية 56 أي فنعم الماهدون نحن وينظر / البرهان للزركشي 3/159
- (57) سورة البقرة الآية 2.6 أي :ولبئس المهاد جهنم ينظر: البحر المحيط /2/118
- (58) سورة البقرة الآية 64
- (59) همع الهوامع للسيوطي 42/2_43
- (60) المحتسب لابن جني 42/2
- (61) المصدر نفسه 335/2
- (62) سورة الضحى الآية 3
- (63) مغني اللبيب لابن هشام /83.
- (64) التأويل النحوي في القرآن الكريم /1/269
- (65) علم اللغة للسعران /31_311 وينظر الدلالة اللغوية عند العرب 158_159 والدلالة والنحو 115_116
- (66) الكتاب لسيبويه /1/257 وهناك لفتات الى سياق الحال في الكتاب ايضا ينظر الكتاب 81_8/2
- (67) الخصائص 247/1
- (68) المصدر نفسه 248/1
- (69) النحو والدلالة 118_119
- (70) المصدر نفسه 123 وينظر الدلالة اللغوية عند العرب 177_178
- (71) ينظر : الدلالة والنحو 123_124 ومناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان
- 16_162 وعلم اللغة للسعران 2.8_2.9 والدلالة اللغوية عند العرب 172_176
- (72) الخصائص 372/2_373
- (73) الكتاب 127/2

- (74) الخصائص 413_384/2
(75) دلائل الاعجاز 1.8_85
(76) سورة الحشر الآية 2
(77) المثل السائر لابن الاثير 41/2
(78) ينظر الايضاح 1.1/1
(79) ينظر : دلائل الاعجاز 88
(.8) سورة طه الآية 6
(81) سورة الشورى الآية 53
(82) سورة آل عمران الآية 16.
(83) ينظر : معاني النحو د. فاضل السامرائي 166/1
(84) المحتسب 64/1
(85) البرهان في علوم القرآن 234/3
(86) دلائل الاعجاز 99
(87) سورة البقرة الآية 15
(88) دلائل الاعجاز 84 وينظر : الكتاب 34/1

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- اتحاف فضلاء البشر في قراءات الاربعة عشر، البنا الدمياطي أحمد بن محمد(ت1117هجرية) ، تحقيق : د. شعبان محمد اسماعيل ، ط1 ، عالم الكتب ، بيروت ، 14.7هـ =1987م
- احياء النحو : ابراهيم مصطفى ، القاهرة 1959م
- ارشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر : أبو العز القلانسي محمد بن الحسين بن بNDAR (ت521هـ) تحقيق : عمر حمدان الكبيسي ، ط1 ، مكة المكرمة ، 14.4هـ =1984م
- الايضاح في علل النحو : أبو القاسم الزجاجي عبد الرحمن بن اسحاق (ت337هـ) ، تحقيق : د. مازن مبارك ، دار العروبة ، القاهرة ، 1378هـ =1959م
- الايضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني جلال محمد بن عبد الرحمن (ت739هـ) تحقيق : لجنة من أساتذة الأزهر ، مطبعة السنة المحمدية
- البحر المحيط : . أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف (ت745هـ) ، مطابع النصر الحديثة ، الرياض (د.ت)
- البرهان في علوم القرآن الزركشي محمد بن عبد الله (ت794هـ) ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط1 ، دار احياء الكتب ، 1376هـ =1957م.
- التأويل النحوي في القرآن الكريم : د. عبد الفتاح أحمد الحموز ، ط1 ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية ، 14.4هـ =1984م
- التيسير في القراءات السبع : أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد (ت444هـ) تحقيق : اوتو برتزل ، استانبول ، 193م.
- الجمل : عبد الفاهر الجرجاني ، تحقيق : علي حيدر ، دمشق ، 1972م.

- الحجة في القراءات السبع / ابن خالويه الحسين بن أحمد (ت37هـ) ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، بيروت ، 1971م
- حجة القراءات : أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، القرن الرابع الهجري ، تحقيق :سعيد الأفغاني ، ط4 مؤسسة الرسالة ، بيروت 14.4 = 1984م
- الخصائص : ابن جني ابو الفتح عثمان بن جني (ت393هـ) ، تحقيق:محمد علي النجار ، مصورة دار الشؤون الثقافية بغداد 199.
- الدرس الدلالي في خصائص ابن جني :د. أحمد سليمان ياقوت ، ط1، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1989م
- دلالة الألفاظ ، د.ابراهيم أنيس ، ط2 ، الانجلو المصرية ، 1963م
- دلائل الاعجاز :عبد الفاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ، 1969م
- الدلالة اللغوية عند العرب : د. عبد الكريم مجاهد ، دار الضياء ، عمان ، 1985م
- الدلالة ونظرية النحو العربي :محمد عامر معين ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 1417 هـ = 1997م
- دور الكلمة في اللغة : ستيفن أولمان ، ترجمة د. كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1975م
- السبعة في القراءات : ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى (ت324هـ) ، تحقيق د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، 1972م
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ابن هشام الانصاري جمال الدين عبد الله بن يوسف(ت761هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار العلوم الحديثة ، بيروت ، لبنان ،(د.ت)
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك :عبد الله بن عقيل (ت769هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، (د.ت)
- شرح الكافية : الرضي الاسترابادي محمد بن الحسن (ت686هـ) ، طبعة مصورة عن طبعة الشركة الصحفية العثمانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،(د.ت)
- شرح المفصل : ابن يعيش النحوي ، يعيش بن علي (ت643هـ) عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة (د.ت)

- الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها : أحمد بن فارس (ت395هـ) ، القاهرة ، 191م.
- العلامة الاعرابية فى الجملة بين القديم والحديث د.محمد حماسة عبد اللطيف ، الكويت ، 1983م.
- العلامة فى النحو العربى : د. محمود سليمان ياقوت ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية 1989م
- علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر ، ط1 ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ، 14.2هـ = 1982م
- علم اللغة . مقدمة للقارئ العربى . : د. محمود السمران ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د.ت)
- فى النحو العربى نقد وتوجيه :د. مهدي المخزومي ، ط1 ، بيروت ، 1964م
- كتاب سيويوه : سيويوه عمرو بن عثمان (ت18هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط3 ، عالم الكتب ، 14.3هـ = 1983م
- اللغة :جوزيف فندريس ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلى ود.محمد القصاص ، مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ، 137هـ = 195م.
- اللغة الشاعرة : عباس محمود العقاد ، الانجلو المصرية ، 196م.
- اللغة العربية معناها ومبناها :د.تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1973م
- المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها : ابن جنى ، تحقيق :علي النجدي ناصف ، ود.عبد الحلیم النجار ، ود.عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، القاهرة ، 1386هـ
- المستتير فى القراءات العشر : ابن سوار البغدادي أحمد بن علي (ت496هـ) مخطوطة مصورة عن نسخة نور عثمانية ، تركيا.
- المثل السائر : نصر الله بن الاثير (ت637هـ) ط1 ، مطبعة نهضة مصر ، 138هـ = 196م.
- معاني النحو :د. فاضل صالح السامرائي ، بغداد ، 1987 = 1991م
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب : ابن هشام الانصاري تحقيق :د. مازن مبارك ، ومحمد علي حمد ، ط5 ، دار الفكر ، بيروت ، 1979م

- المفصل في علم العربية : الزمخشري محمود بن عمر (ت538هـ) ط1 ، القاهرة ، 1323هـ
- من أسرار اللغة :د. ابراهيم أنيس ، ط3 ، الانجلو المصرية ، 1966 م
- مناهج البحث في اللغة : د. تمام حسان ، الانجلو المصرية ، 1955م
- من قضايا اللغة والنحو ، علي النجدي ناصف ، مكتبة نهضة مصر (د.ت)
- نحو عربية ميسرة :د. أنيس فريحة ، دار الثقافة ، بيروت (د.ت)
- النحو والدلالة . مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي . د.محمد حماسة عبد اللطيف ، ط1 ، القاهرة ، 1983م
- النشر في القراءات العشر : ابن الجزري محمد بن محمد (ت833هـ) تحقيق : الشيخ علي محمد الصباغ ، دار الفكر (د.ت)
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في العربية : السيوطي ج1 :تحقيق عبد السلام هارون ود.عبد العال سالم مكرم والاجزاء الستة الباقية تحقيق : د. عبد العال سالم مكرم فقط ، دار البحوث العلمية ، الكويت، 1975=198م.